نوم . ولما كنت اؤلف مقالاتي في حساب التفاضل وهو اصعب تآليفي الرياضية كنت انسحط في اليوم نحو ٣٥ كراساً من السعوط فلحظت حينئذٍ انني صرت اقلب قواميسي كثيراً للتفتيش عن معاني الكلمات الغريبة الامر الذي لم اكن افعله قبلاً . ونسيتُ ايضاً تاريخ حوادث كثيرة فساءني ذلك جداً حتى انني عزمت على ابطال التدخين والتسعيط فقطعتها في غرة ايلول من شهور سنة ١٨٦٣ ومن ثمَّ حتى هذا اليوم (٢٥ حزيران سنة ١٨٨٣) لم انسعط بقبضة سعوط ولم ادخن شيئاً من التبغ وكأني بُعثتُ من الاموات في ذاكرتي وفي صحتي ولم يبقَ عليَّ سوى ان افعل ما فعلتهُ بعد ذلك بثماني عشرة سنة وهو ان اجعل طعامي نصف ما كان واقلّل من اكل اللحم واكثر من الخضر لكي اتمتع بصحة لا مثيل لها وطاقة على العمل لا تحد وهضم تام . وعندي ان كل من تبع خطواتي يكون جزاؤهُ كجزائي يجاوز الثمانين سالماً بعد ان يعمل اشق الاعمال

وقال العلاَّمة بروكتر ما محصَّلهُ ان اكبر معين لرجال العلم تجنُّبهم المنبِّهات كالعرق والتبغ فاني وجدتُ من نفسي ان كأساً من العرق يمنعني عن الاشتغال مثل الاكل الكثير هذا اذا كنت في بيتي . واما في الولائم الكبيرة فلا اشعر بتعب من الاكل الكثير ولا من شرب قليل من المنبهات بل ارى الخمر تنبّه الجنان وتفرّج القلب ولكن المقدار الذي يفيد ولا يضر قليل جداً وقلما يقف عندهُ الانسان فالامتناع المطلق خير واولى

منطق الوعظ (والخطابة)

لجناب القس الدكتور هنري جسب (١)

قال شيشرون "حسن المنطق يتوقف على كل القوى الظاهرة والباطنة" ولقد اجاد بذلك لان الفصاحة تقوم باظهار كل قوى الانسان العقلية والجسدية والخطاب الحسن يحتاج الى اجتماع العقل والجسد معاً فقد يكون الخطاب فصيحاً نظراً للفظ والمعنى ولا تاثير له لفجع النطق : قيل ان هال الواعظ الانكليزي لم يقتصر على تقديم كلامهِ للسامعين بل قدَّم لهم نفسهُ ايضاً اي انهُ اوضح مرادهُ بصوتهِ وعينيهِ ويديهِ وهيئة وقوفهِ وكل حركة من حركات جسدهِ

— ويتضمن المنطق الحسن اربعة امور وهي الصوت واللفظ والايماء والحركة

المادة الاولى . في الصوت

الصوت قوام الوعظ والخطاب وركنها الاعظم ويتوقف حسن المنطق على كمالهِ وتربيتهِ وتقويتهِ . فالاصوات غير القابلة التقوية والتحسين قليلة وما كان من الاصوات قبيحاً ضعيفاً طبعاً

(١) وهي ماخوذة من كتاب لهُ طُبع حديثاً واسمهُ كتاب جلاء اللحظ في علم الوعظ . انظر باب الهدايا والتقاريظ

قد يحسن بالممارسة فانها تقوّي الصوت الضعيف وتحسّن الفج وتقوّم المعوّج وتزيد الحسن تأثيرًا وفعلاً . وليتعلم الواعظ حفظ صوته من الفساد من الموسيقيين فانهم ينظرون كثيرًا في خواص آلاتهم ويعتنون بحفظها من كل ما يضرُّها كالرطوبة والكسر والفساد وما اشبه ذلك لتكون دائمًا معدَّة لاخراج الاصوات المطربة . فان كان ذلك شان المغنين فهو اجدر بالخطيب ولا سيَّما الخطيب الروحي فعليه ان يعتني كل الاعتناء بتلك الآلة العجيبة التركيب التي يخرج منها ذلك الصوت الذي وهبهُ الله له آلةً لاظهار الحق الالهي للعالم

ولتقوية الصوت وتحسينهِ شروط لا بد منها . منها ان يراعي الواعظ صحتهُ ويعتني بها لان قوة الصوت وصفاءهُ يتوقفان على الصحة الجسدية . فان الانسان الضعيف يُعرَف من صوتهِ الضعيف الخشن غير الصافي لانهُ بضعف الصحة الجسدية تضعف اعضاء الجسد كلها وعضلاتهِ فتضعف عضلات الصوت واوتارهُ ايضًا . وان الصوت يتكون بطرد الهواء بعنف من الرئتين مارًّا في المزمار فيحدث اختلاجًا في الاوتار الصوتية فتخرج الصوت فيتنوع بواسطة اللسان والاسنان والشفتين

ومنها ان يعود صوتهُ التغيير والتنويع وذلك من الممكنات القريبة ودليلهُ ما نراهُ من اصوات الملاحين والحدادين والمكارين . اما قوة الصوت فبالنسبة الى جرم الحنجرة وسعة الصدر . والترنيم والقراءة بصوت مرتفع مما يحسّن الاعضاء الصوتية ويمد الصدر مدًّا يفيد الصحة . قال الاطباء لفظ الاصوات الاصلية العربية يعين على نمو الاعضاء الصوتية ويمنع المرض من الحلق والرئتين

ومنها ان يلازم الوقوف والجلوس المتقصين ليكون صوتهُ واضحًا مفسرًا لان هيئة الوقوف تؤثر في الحان الصوت لانهُ اذا وقف الخطيب او جلس وراسهُ وجذعهُ منتصبان تزيد حركات كل الجهاز التنفسي اختبارًا وفاعليةً ولذلك يكون الصوت اوضح واظهر ولكن ان تكلم والراس منكوس والذقن منخفضة منع حركات الاعضاء الصوتية وتعب في وقتٍ قصير

ومنها ان يحترز من ضغط عضلات العنق قال علماء الفيسيولوجيا يجب ان تتوفى ضغط عضلات العنق لانهُ اذا ضُغطت عضلات الجيد والحنجرة بقبَّة عريضة عالية او بلبس آخر ضيق امتنع استعمال تلك الاجزاء بسهولة وصارت الالحان ضعيفة لا تاثير لها فزيادة ضعف الصوت عند الخطباء اكثر ما تُنسب الى الخطإ في تغطية العنق وعدم الانتصاب في الوقوف

ومنها ان يجتنب تاثير الهواء البارد بزيادة الملبوس بعد ان يفرغ من الوعظ او الترنيم امام جمع في مكان كثر حرُّهُ وان لا يتنخ فاهُ اذا خرج في ليلة مطر او ريح شديد ويرجع الى بيتهِ من دون ان يتكلم كلمة واحدة في الطريق لئلا تتأثر اعضاء الصوت بالبرد والرطوبة

ومنها ان يتنفس تنفساً كاملاً ويجتهد ان يملأ رئتهُ هواء ولذلك ينبغي ان يقف منتصباً . وليعلم ان القراءة في ورقة على منبر غير رفيع تمنع من التنفس الكامل وتضيق الصدر وتمنعهُ من ان يرتفع. اما الفم واجزاء الحلق العليا فتظهر قُبَّة تزيد قوة الصوت فكأنهُ بها مبنيٌّ على عمود هواء متصل من قُبَّة الفم الى الرئتين . واقبح معجنات الصوت ان يخرج من الانف

ومنها ان يحافظ على الصوت الطبيعي ليمكنهُ ان يتكلم بقوة بلا تكلف وينوّع الاصوات من الزِّرِّ الى الصياح (اي من الصوت الخفي الى الصوت الشديد) . . . . ولذلك ينبغي ان لا يقوّي الصوت اكثر مما يقتضي اسماع الحاضرين فعلى الواعظ ان يتكلم كمعلِّم بصوت طبيعي بقصد ان يبلِّغ كلامهُ السامعين حتى يعرفهُ كلٌّ من اصحابهِ من صوتهِ دون ان ينظر اليهِ

ومنها ان يحافظ على صفاء الصوت لان صفاءهُ اليق بالخطيب من شدتهِ فالصوت الحسن هو الذي يخرج بسهولة ويبلغ آذان السامعين واضحًا وصفاؤهُ يؤدّي الى ذلك اكثر من القوّة . لان الصوت انواعٌ منها ما يسمع بواسطة حسن الحانهِ لا بقوتهِ فقط وهو الصوت الرائق الموافق ارادة الخطيب القابل التدرج الى كل الاصوات الموسيقية . اما الاصوات المنخفضة الغليظة والرفيعة الشديدة فيجب تجنُّبها فان خير الامور الوسط فينبغي ان نمارس الاصوات المتوسطة حتى يمكن الواعظ ان يرفع صوتهُ بشدةٍ اذا شاء ويخفضهُ بالحلم والوقار كذلك

ومنها ان يقرأ ما يختارهُ من الكتاب المقدَّس على المنبر بصوتٍ ثابتٍ متوسطٍ ويجتنب الصوت الممل ملاحظًا المعنى محافظًا على الصوت الطبيعي منوّعًا اياهُ حسب مقتضى الكلام لان قراءة الاخبار التاريخية تقتضي صوتًا وقراءة اشعار ايوب تقتضي صوتًا آخر وقراءة مخاطبات المسيح لتلاميذهِ تقتضي آخر وكذلك بعض فصول سفر الرؤيا المتعلقة بتسبيحات السماء . والقراءة امر ذو شانٍ في خدمة الانجيل لان القارئ الجيد يشرح معنى الكلام الالهي بمجرَّد تنويع الاصوات الطبيعية في القراءة ولذلك سمّى بعضهم القراءة شرحًا متصلاً

ومنها ان يبذل كل جهدهِ في تحسين صوتهِ وتقويتهِ فان الاصوات قابلة ذلك وليس لها نظير في الحسن والقوة والغنى والسعة . والخطيب الماهر يستعملها ليؤثّر في اعماق الضمائر الميتة ويطرب الاذهان بمناظر السعادة والسلامة السموية ويمس بلطفٍ محركات القلوب الخفية ويذوّب قلوب الخطاة حتى يشعروا ويبكوا مثل الاولاد على اعمالهم الشريرة

النبذة الثانية . في اللفظ

المقصود باللفظ هنا اظهار كل حرف ومقطع وكلمة وجملة اظهارًا كاملاً لمنع الالتباس عند السامعين . فالمغافل في لفظ اللغة العربية يقع في كثيرٍ من الخطإ الذميم كالخطإ الشائع في لفظ

حرف التاء كالسين فيلتبس به الاتم بالاسم والثلب بالسلب والثلم بالسلم وهلم جرًّا. واللفظ قابل التهذيب والايضاح فلا يعذر الانسان على الخطإ فيه واذا عذرنا الجاهل عليه لم نعذر خادم كلمة الله على تقعُّدِه عن الاجتهاد في جعل كلامه مفهومًا لان الكسل في امر ذي بالٍ نظير هذه الخطية

البدة الثالثة . في الاجهار

الاجهار في التكلم حسن ولا يقوم مجرّد الاظهار ورفع الصوت بل لا بدّ له من التنوّع الكثير في الالحان والاصوات . ظنّ البعض انهُ يجب على الواعظ ان ينطق بالالفاظ المخيفة المعنى بصوتٍ مخيفٍ وبصراخٍ هائلٍ والحقُّ ان الصوت يؤثر اقوى تاثير اذا أثرت فيه تلك الافكار المخيفة تاثيرًا يلجئه الى ان يخفض الصوت

قال فنلون نيف الاميركي . "النبرة المحكمة لا بدّ منها في القراءة والتكلم الحسن المفيد لان كل كلمة تقع عليها النبرة تصير مصدرًا للحياة والحركة في اللفظ واما النطق الضعيف فيميت افكار المتكلم" . والاجهار يكون في الكلمة والجملة والكلام واما النبرة فتكون في الكلمة ومقاطعها . ومن يحكم الاجهار يقدر ان يجعل الوعظ البرهاني الثقيل خفيفًا حسنًا لذيذًا فكما ان المصوّر بعد اتمامه الصورة يوزّع عليها نقط نور لتحسين المنظر كذلك الواعظ يحسن الكلام بالاجهار الحسن والنبرة المناسبة . قال العلّامة هويلي البياني الشهير . "كثرة التفكر في الاجهار ضارّة فاملأ عقلك من الموضوع حتى تلهم منهُ وارغب في تبليغهِ الى السامعين وحينئذٍ لا تحتاج الى التفكر في امر الاجهار لان الاجهار وقتئذٍ يتمّ طبعًا" . وهذه النصيحة حسنة لكنها ليست بكافية لانهُ بعد اتمام هذه الشروط يحتاج الواعظ الى ان يعرف كيف يبلغ الحق الى السامعين على احسن طريق ومن وسائط ذلك الاجهار الحسن . فيجب ان نفتكر في الاجهار لنعرف كيف نتجنّب الاكثار منهُ . لان الاجهار الكثير يصيّر الوعظ ضجّة متصلة تتعب الواعظ والموعوظ معًا لان العنف في النطق ليس قوة

البدة الرابعة . في الحركة والاشارة

الاشارة امر طبيعي في الانسان حين يتكلم بدليل ان الولد الصغير يتحرك ويشير في التكلم فمن اراد ان يرى الحركة الطبيعية في التكلم فليلاحظ حركات الاولاد لانها فيهم خلق بلا تكلف ومناسبة ومؤثرة . والحركات والاشارات تزيد قوة الكلام بالاجماع . والخلاف في انهُ هل يليق تكثيرها او تقليلها في التكلم والسامعون يختلفون ذوقًا في هذا الامر . فبعض الخطباء نظير مؤلف الموعظة في غضب الله على الخطاة يقفون بلا حركة ويسبون الاذهان بقوة افكارهم . غير انهُ اذا وُعظ امام جمع اعتادوا كثرة حركات الواعظ واشاراتهِ حسبوا عدم حركتهِ فتورًا لا يحتمل لاعتيادهم مشاهدة تلك الحركات الكثيرة ورغبتهم فيها . حكي ان في قرية ايمنباخ في جرمانيا منبرًا من خشب

البلوط كسرة لوثر في الوعظ بالضرب عليه بجمع يده . وقيل ان بشر الامير كي كسر قنديلين على المنبر لشدة حركته . فالحركة لا بدّ منها في الوعظ لانه ليس في الالف واحد يقدر ان يستغني بقوة افكاره عن اظهار المراد بالحركة الجسدية ومن سجية اهل الشرق ان يشيروا ويتحركوا كثيرًا في الكلام في محاطباتهم المعتادة ومخاطباتهم ذات الشان

والقانون البسيط في هذا الامر هو ان تكون الحركات والاشارات بلا تصنّع ولا تكلّف لحركة الاولاد واشاراتهم كانها من طبع المتكلّم وليس من مراعاة قوانين علمية بشرط انها لا تجاوز حدود الاعتدال . ومن كان يميل كل الميل الى الاكثار منها فليجتهد في ان يجعلها متوسطة موافقة للفكر والمعنى . ومن كان يميل الى تركها فليعوّد نفسهُ اياها بدون تكلّف لانها ان لم تكن طبيعيّة فضل عدمها على وجودها

النشادر في الخبز

ان اهل هذا العصر قد وسّعوا العلوم وكثّروا الفنون حتى كاد العلم يستغرق كل حاجة من حاجات الانسان عقلية كانت او جسدية . ولقد اصبح العلماء يسابقون كل انسان على حرفته ولا ريب انهم يسبقون في كل ما يوجهون النظر اليهِ فانهم هم السابقون وغيرهم اللاحقون . هذا وقد وجه كثيرون من علماء هذه الايام عنايتهم الى تصليح مآكل البشر وتعيين النافع لهم منها والمضرّ فجاءوا بفوائد لا تحصى . ومن جملة ما كشفوا حديثًا استعمال النشادر للتخمير . فلا يخفى ان كربونات النشادر جسم طيار اذا وُضع قليلٌ منهُ في ملعقة ووُضعت الملعقة على اللهيب تحوّل حالاً الى غاز وطار الى الجوّ ولم تبقَ بعدهُ بقية من النشادر . ولذلك يفضل على ما سواهُ من الاجسام التي تستعمل للتخمير . فان قليلاً من النشادر يجعل الخبز اخف وارخف واطيب طعمًا وانفع للصحة لانهُ متى وُضع العجين المختمر بهِ في الفرن فالنشادر الذي يكون قد تحوّل الى غاز يفلت كلهُ من العجين بعد ان يرتفع وينتشر في العجين كلهِ فيخرج الخبز خفيفًا رخصًا لذيذًا للذوق جميلاً للنظر . ولمّا علم خبّازو الافرنج بهذا الاكتشاف بادروا الى استعمال النشادر لتخمير العجين وذلك بعد تركيبهِ مع خمير آخر كالصودا وزبدة الطرطير وغيرها

كان اليونان يعرفون استخراج الحديد والزئبق وغيرهما من المعادن واستخراج الالوان من الاتربة قبل المسيح بستّ مئة سنة